الخطبة الثامنة

الصلاة وأهميتها

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله عدد خلقه، الحمد لله مداد كلماته، الحمد لله زِنَةَ عرشه، الحمد لله رضا نفسه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، أدى الأمانة ونصح الأمة وتركنا على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 3/ 102]، وبعد:

1 - أخبرني بعض الإخوة أن هناك أناساً يحضرون الجمعة ولا يصلون أي صلاة غيرها، وأن هناك أناساً يتكاسلون حتى عن القدوم إلى صلاة الجمعة، فهم لا يصلون أبداً لا جمعة ولا غيرها، اللهم إلا في بعض الأوقات في رمضان، ولكن هؤلاء الناس يحافظون على صلاة العيدين.

طلبت ممن أخبرني أن يجمعني بهؤلاء الناس أو ببعض منهم حتى أفهم العلة والسبب في تهاونهم، وحتى أكون أدق في معالجة المشكلة، وفعلاً من فضل الله تعالى علي اجتمعت بهؤلاء، وسألتهم عن سر كسلهم وعدم محافظتهم على الصلاة، كانت الإجابات عديدة وسوف أُجْمِلُها لكم، ولكن لم يكن منهم أحد قد أنكر الصلاة وفرضيتها - والحمد لله - فكل الموجودين والمتهاونين والمتكاسلين والمتقاعسين عن الصلاة أقروا بفرضيتها وأقروا بتقصيرهم.

2 - وقبل أن أبدأ بتفنيد أعذارهم أود أن ألفت النظر إلى أن الفقهاء انقسموا في تكفير تارك الصلاة إلى قسمين:

أ - فمن العلماء من يقول: إن تارك الصلاة تَرْكَ تكاسل وتهاون وهو يعترف بتقصيره ويقر بفرضيتها ووجوبها؛ فهذا إنسان خرج من دائرة الإيمان وبقي في دائرة الإسلام، فهو مسلم مقصر وهو في مشيئة الله، إن شاء الله عذبه وإن شاء عفا عنه، وأخص بالذكر من هذا القسم من العلماء، ما جاء في رسالة الإمام أحمد بن حنبل في الصلاة، فقد ذكر هذا، وهناك أخرون قالوا بهذا، وخافوا من فتنة التكفير.

ب - والقسم الثاني من العلماء: كَفَّر تارك الصلاة كُفْراً يخرجه من الملّة، ويُفرّق بينه وبين زوجته، وإذا مات لا يُغَسَّل ولا يُدْفَن في مقابر المسلمين، واستدلوا بالأحاديث الكثيرة الصحيحة الدالة على أن تارك الصلاة كافر، وأن الرسول ﷺ- لم يوضح ولم يخصص ولم يفرق بين من تركها ناكراً جاحداً وجوبها، وبين من تركها تكاسلاً وتهاوننًا، فأحاديث الرسول ﷺ لم توضح هذا إنما جاءت عامة، والقاعدة الأصولية تقول: نأخذ الأمر العام على عمومه، ما لم يرد نص أو قرينة تخصصه، فمن أين لهؤلاء بتخصيص كلام رسول الله ﷺ حيث قال: «بين الرجل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة» أخرجه مسلم (82) من حديث جابر بن عبد الله، وقوله: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر» أخرجه أحمد (22987)، الترمذي (2621) من حديث بريدة الأسلمي.

فهذه الأحاديث تدل على كفر تارك الصلاة، هكذا قال من أرسله الله سبحانه وتعالى في هذه الرسالة وهو رسول الله، وقد أمر الله سبحانه بطاعته ﷺ، قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: 4/ 80]، وفي طاعته الهداية والنجاة من النار، قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْ﴾ [النور: 24/ 54].

ثم يا أخي ألا ترى في مقالة من فرق بين الجحود والتكاسل أنه أمر ظني وليس

معه دليل قطعي الدلالة؟ فكيف لمن له عقل أن يعتمد على الظن وعلى اجتهاد قد يكون خاطئًا، فيخسر نفسه ويكون من أهل النار والعياذ بالله؟! أليس أحرى بأن يكون الإنسان حريصًا ويقوم بواجباته تجاه ربه ويقوم بصلاته ليفوز بالنجاح في الدارين؟! وأردت التطويل في هذه، لأن أحد الأعذار من هؤلاء الشباب الذين لا يصلّون هو اعتمادهم على بعض من أفتى بأن تارك الصلاة غير مخلد في النار؛ لأن المسلم العاصي لا يَخرج من الملّة، وتارك الصلاة مسلم عاصٍ.

3 - والأعذار التي قدمها الشباب منها:

أولاً - ما ذكرت من أن تارك الصلاة مسلم عاصٍ، وأن شفاعة الرسول سوف تلحق به فتنقذه من النار اعتماداً على قوله: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**» أخرجه أحمد (13245)، أبو داود (4739) من حديث أنس بن مالك، وقالوا: بأن تارك الصلاة مرتكب كبيرة، فيكون بمن تلحق به الشفاعة.

وثانيًا - قالوا: نعتمد على حديث رسول الله ﷺ حين قال: «من قال: لا إله إلا الله مخلصًا دخل الجنة» أخرجه البخاري (99) من حديث أبي هريرة.

وثالثًا - اعتمدوا على أقوال بعض أهل العلم: بعدم تكفيره تكفيراً مخرجًا من الملة. ونسوا أن هؤلاء الأئمة قالوا: إنه يُفسَّق فيُستتابُ، فإن تاب وصلى، وإلا فإنه يُقتل حداً كما يُقتل الزاني المحصن رجمًا، ولكن تارك الصلاة يقتل بالسيف، هذه مقولة مالك والشافعي رضي الله عنهما.

4 - أريد أن أرد على هؤلاء الكسالى الذين لا يصلون بردود عدة، وأرجوه تعالى أن يوفقني في اختيار الكلمات المناسبة حتى يرجع هؤلاء إلى جادة الصواب وإلى الصلاة التي فيها سعادة الدارين، وأرجوه تعالى أن يشرح صدورهم للحق ويجعلهم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، اللهم آمين.

أولاً – يا إخوة في الله، لماذا نعتمد على استقراءات وتفنيدات واستنباطات ما جاء الله سبحانه بها، وما جاء بها نبيه الكريم؟! قال رسول الله ﷺ: «بين الكفر والإيمان ترك الصلاة» أخرجه الترمذي (2618) من حديث جابر بن عبد الله.

هل هذا الكلام أوضح بيانـًا أم الاعتماد على قوله ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»؟

هل حديث رسول الله في تكفير من ترك الصلاة أوضح وأبين؟ أم الاعتماد على أقوال بعض الفقهاء؟!! لا أحد يقبل بالشك دون اليقين، ولا أحد يعتمد على الأمر الظني مقابل الأمر اليقيني.

ثانيـًا – عن تميم الداري عن النبي ﷺ قال: «إن أول ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة من عمله: صلاته، فإن تقبلت منه صلاته تقبل منه سائر عمله، وإن ردت صلاته رد سائر عمله» أخرجه الترمذي (413) من حديث أبي هريرة.

فيا أخي في الله إن أول شيء يسأل عنه ابن آدم صلاته، هذا قوله ﷺ، فإذا لم يكن للإنسان صلاة، فماذا نفهم من الحديث؟ ألا نفهم أنه مطروح في النار؟ لأن كل أعماله قد رُدَّتْ، ولعدم الدخول في مناقشات لا طائل منها، سأورد لك فهم سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فلقد أرسل سيدنا أبو بكر إلى عماله في الأمصار الكتاب التالي: «واعلموا أن أهم أمركم عندي الصلاة، فمن ضيعها فهو لغيرها أضيع» سبحان الله ما أجمل هذا الفهم! نعم إن المضيّع لصلاته هو لغيرها أضيع، إذا لم يكن له صلاة رُدَّ عليه سائر عمله، إذا لم يقم بالواجبة فهل يأتي بالنافلة؟ فما رأيك بأوجب الواجبات وهي الصلاة؟

ثالثـًا – أود أن أستعرض معك بعض الآيات القرآنية:

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ

ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [المؤمنون: 23/ 1 – 11].

عرّف الله سبحانه وتعالى المؤمنين، وابتدأ بأول صفة وهي الخشوع في الصلاة؛ أي أنهم يؤدون الصلاة بحق وعلى أكمل وجه، لذلك وصفهم بالخشوع، ثم ذكر خمس صفات لهم ثم عقب وأنهى الوصف بأنهم يحافظون على الصلاة، أي يحافظون على شروطها وأركانها وواجباتها، ويحافظون عليها في أوقاتها المنتظمة، فابتدأ صفات المؤمن بالصلاة، وختم الصفات بالصلاة.

إليك آية أخرى، لقد عاب الله سبحانه وتعالى الناس كلهم ووصفهم بالنقص ووصفهم بقلة الخير، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ مَأۡمُونٖ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ﴾ [المعارج: 70/ 19 – 35].

استثنى الله سبحانه من العيب الذي وصف به الناس المصلين الذين هم في دوام على القيام بأهم فريضة في الدين وهي الصلاة، ثم تابع الوصف فذكر سبع خصال، ثم أنهى هذا الوصف أيضاً بالمحافظة على الصلاة، فابتدأ بالصلاة وانتهى بالصلاة، وجعل هؤلاء المصلين في جنات مكرمون، كما وصفهم بسورة (المؤمنون) بأنهم

الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون، ألا يرى كل ذي لب وعقل أن الله يفتتح بالصلاة ويختم بالصلاة في كلا الحالتين، ويجعل الجنة هي الجزاء في كلا الحالتين، ويورد صفات عدة بين الابتداء والانتهاء في كلا الحالتين؟ ألا يستنتج من هذا أن الصلاة هي أهم ما في الدين؟ ألا يفهم من هذا الآن قوله ﷺ في الحديث الذي رواه عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «الصلاة عماد الدين» أخرجه البيهقي في الشعب (2807).

ألا يُفهم من هذا أن من ضيع الصلاة كان لغيرها أضيع؟ وقد قال بعض المفسرين: إن الله ابتدأ بالصلاة وانتهى بالصلاة في سورة (المؤمنون) و (المعارج)، لأن من ضيع الصلاة كان لما ذكر بينهما أضيع، كيف لا يصلي، ويخاف الله من اللغو، كيف لا يصلي ويؤدي الزكاة، كيف لا يصلي ويحافظ على فرجه؟ كيف لا يصلي ويؤدي الأمانة نحو ربه، ويؤدي الأمانة إلى الناس؟ كيف لا يصلي ويراعي عهد الله الذي قطعه على نفسه عندما قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، ويراعي حق الناس وعهودهم، أبداً؟ من ضيع الصلاة كان لغيرها أضيع، ومن ردت صلاته رد سائر عمله، وما الإسلام إلا قول وعمل، وما الإيمان إلا قول باللسان، وعمل بالأركان، وتصديق بالجَنَان، كيف يكون له إيمان وليس له صلاة؟

وعن المسور بن مخرمة قال: دخلت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد أن طُعِنَ وهو مسجّى، فقلت: أيقظوه بالصلاة، فلما أفاق عمر رضي الله عنه قال: (لا حَظَّ في الإسلام لمن ترك الصلاة) أخرجه البيهقي في السنن (6291)، والدار قطني (1).

وعن أم سلمة أن النبي ﷺ كان يفيق من احتضاره ويقول: «الله الله في الصلاة وفيما ملكت أيمانكم» أخرجه أحمد (26526)، أبو داود (5156) من حديث علي بن أبي طالب، وابن حبان في صحيحه (6605) من حديث أنس بن مالك.

رابعًا – إذا نظرنا في كتاب الله تعالى نجد أن الله سبحانه يحث العباد على الطاعة والعمل الصالح بشكل إجمالي، ويُجمل العبادات كلها، ثم يخص الصلاة سبحانه وتعالى من بين هذه العبادات فيذكرها لوحدها، وهذا معروف أن تخصيص الذكر إنما هو لعلو المنزلة وأهميتها، ومكانتها بالنسبة لسائر العبادات، وانظر معي للأمثلة:

1 – قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: 21/ 72 – 73].

2 – قال تعالى: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ [طه: 20/ 14].

3 – قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: 7/ 170].

4 – قال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النور: 24/ 37].

5 – قال تعالى: ﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾ [إبراهيم: 14/ 31].

6 – قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىَنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَىٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: 19/ 30 – 31].

7 – قال تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الروم: 30/ 31].

8 – قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: 4/ 162].

وآيات كثيرة أخرى في القرآن تخص الصلاة لأهميتها فتفردها بالذكر، وللتأكيد على خصوصية الصلاة وإفرادها بين العبادات كلها، تعال لننظر كيف فرض الله جميع أعمال العبادات وأعمال الخير، كل البر وكل الخير وكل العبادات والفرائض فرضت عن طريق جبريل عليه السلام، إلا الصلاة فإنها فرضت مشافهة من الله تعالى إلى النبي ﷺ.

ولشأن الصلاة وأهميتها عُرِجَ بالرسول ﷺ إلى سدرة المنتهى، وهناك في ذاك المكان الذي لم يصل إليه إنس ولا نبي من قبل، ولن يصل إليه أحد بعد الرسول ﷺ، هناك أمر الله سبحانه نبيه محمداً ﷺ بالصلاة، فهل بعد هذا الدليل من حاجة إلى دليل؟

خامسًا – صفات المديح في القرآن جاءت للمصلين:

1 – وصف الله المؤمنين فقال عنهم: ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النمل: 27/ 2 – 3].

2 – وصف الله المحسنين فقال عنهم: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [لقمان: 31/ 3 – 4].

3 – وصف الله المتقين فقال عنهم: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: 2/ 2 – 3].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم